

ولا تنتهي مأساة ولادة سامي عند هذا الحد ، فتموت أمه وهي تلده ، وتنقطع نهائيا صلته بالأم ويعيش حياته منبث الجذور منقطعا عن مبدأ وجوده . وتغدو حياته بحثا عن الام الضائعة التي لم يرضع ثديها ولم يشبع حلمه بلذة وصالها . وحين يلتقي لبني يسقط عليها صورة الام فتكون له أما وعروسا ، فيؤمن أن الطفل الذي تحمله لبني في أحشائها ليس ابنه فحسب بل هو صورة أخرى لنفسه فيحلم بأن يكون لابنه غير مصيره . ولكن كيف يتم ذلك ؟ ان علة مأساة ولادته ما زالت مستحكمة ، بل وازداد الشر تعاطفا . فان استطاع هو ان يمسك بالحياة حين ولادته فان طفله ولد ميتا ، ولم تقبل الحياة ان تحتضنه . وكما قتلت أمه قتلت لبني ، وعاش هو وحيدا حياة هي اقسى من الموت . يقول :

ولكن أمي لم تحظ بذلك .. انها لم ترني ولو لمرة واحدة ألثم ثديها ! في نفس اللحظات التي كانت تمنحني فيها الحياة .. كانت تفقد هي حياتها ! ( بنقمة ) النزيف .. النزيف الامر القاني . اجل . انه هو الذي قتلها ، ودون ان يستطيع والدي ، ان يفعل من اجلها شيئا .. انه لم يكن يعلم ! ان أحدا لم يستشره ! بل تأمروا عليه جميعا . ( بثورة ) أجل . تأمروا عليه .. العالم بأسره .. وسيظل ذلك النزيف القاني لطحه جريمة مروعة .. تلوث يديه ابد الدهر .. العالم بأجمعه ! أجل . العالم بأسره .. هو المسؤول عن هذه المأساة الاليمة .. مأساة ولادتي ! على كاهله سيحمل وزرها الى الابد .. الى الابد ! .. حتى ابي .. ذلك المسكين .. لقد جرّوه هو الآخر الى الموت قسرا .. يا للضياغ ! ( بشرود يائس ) وأخيرا بقيت وحدي .. لقد ذهبوا جميعا ! أمي .. والدي .. ذلك الاله الصغير طفلي .. لبني ..

لكن لبني هي التي قتلت طفلها . فقد قتل الصهاينة طفولة لبني وسذاجتها فتوهج عنصر الشر فيها وسيطر على جميع تصرفاتها . وتحول الارض الخصبة صحراء قاحلة وتسيطر صور الجفاف والموت . وتحول الام ، مبدأ الحياة ، اداة دمار . فقد فككت الصهيونية العائلة العربية ، وكانت علة قتل لبني الام والعروس ، والقضاء على الجيل الجديد الذي كانت تحمله لبني في أحشائها . يقول :

ولكنها تغيرت .. تغيرت تماما ! انها لم تعد تلك التي كنت في حاجة اليها ! تلك الساذجة الطفلة !! ذلك الحزن الساكن في عينيها .. لقد تغير كل شيء ! ( بضيق وتشك ) الى نيرة شرسة تحولت ، وفجأة ! .. بحثت عن تلك الواحة الخضراء في عينيها ، فلم أجدها ! كان وجهها .. كان صحراء لون الكبريت المحرق رمالها ! .. ولكن .. ولكن .. ( بيأس ) كيف استطاعت ذلك ؟ كيف !؟ لم يحدث في التاريخ .. لقد تعلمته جيدا . أجل لم يحدث ابدا ! نيرة واحدة لم تفترس طفلها ! اما هذه النيرة الشرسة .. النيرة مفترسة أطفالها لقد افترسته .. أجل . اغتالته ! كيف استطاعت ذلك — بحق الشيطان — ! كيف !؟ ان تجهضه بيديها هي ! .. بيديها الجرمتين فعلت ذلك .. وبايعاز منهم ! لقد ساعدوها على ذلك .. ولماذا ؟ لانه سيكون ولدي !

ويخفق سامي لبني على شاطئ البحر فيما كانت تحاول الانتحار . لكن لبني كما ارادها ان تكون ظلت معه وكأنه قتل عنصر الشر الذي سيطر عليها فقتل الموت والجفاف ليحل الخصب . وبهذا لا يكون هو القاتل ، بل القاتل الحقيقي هم الصهاينة الذين حولوا لبني عن طبيعتها البريئة الطفلة الى طبيعة مفترسة متوحشة . يقول :

لقد فرت من البيت .. كانت كالمجنونة تجري ناحية الشاطئ .. كانت تريد الانتحار ولا شك ! انني .. انني لم .. لقد حاولت ارجاعها فقط .. ردها عن ذلك الجنون ! ولكنها ابت ! .. لماذا لا تقول انك رأيتني ، ادفنني في جوف الرمل عميقا .. عميقا ؟! .. انها هناك ايها الذئب .. هناك على الشاطئ .. كنت انفاسها بيدي هاتين .. هناك .. لا .. بل انتم الذين قتلتموها .. لقد فعلت ذلك بايعاز منكم .. هناك .. هل تسمع .. فانني لا اخافكم .. ( يندفع نحو الباب بجنون يحاول فتحه ) لا ارهبكم .. سأتحداكم جميعا .. سأنتصر عليكم جميعا .. جميعا .. وحدي ( يخرج ) وحدي .

وتنتهي المسرحية كما ابتدأت وسامي يقف وحده متحديا الجميع . ولعل هذا التوحد